السعى إلى الاستثارة كمتغير معدل للعلاقة بين التعرض للمحتوى الإعلامى وبعض أنماط السلوك المضاد للمجتمع لدى عينة من طلاب المدارس الثانوية العامة والفنية*

ياسر السيد**

تهتم الدراسة الراهنة باستكشاف دور السعى إلى الاستثارة كمتغير معدل للعلاقة بين التعرض للمحتوى الإعلامى وبعض أنماط السلوك المضاد للمجتمع، حيث يذهب الكثيرون إلى أن وسائل الإعلام تعد من وسائل الضبط الاجتماعى ، فهى تنقل القيم والمعايير والمبادئ الأساسية ، وتعمل على تعزيزها ودعمها. ومن جهة أخرى ، تؤدى هذه الوسائل دوراً مهماً فى تغيير وتبديل الاتجاهات السلبية التى يعتنقها بعض أفراد المجتمع، مثل الاتجاه نحو العنف أو تعاطى المواد النفسية ، وغيرها من الموضوعات الأخرى . وجدير بالذكر أن وسائل الإعلام تأتى فى المرتبة الثانية بعد الأقران مباشرة كأحد مصادر المعلومات التى يعتمد عليها المراهقون فى الحصول على معلوماتهم عن المواد النفسية .

ويعد تأثير الإعلام فى هذا الإطار مرهونا ببعض خصال مستقبلى الرسالة الإعلامية ، وتدخل هذه الخصال ضمن ما يسمى بالمتغيرات المعدلة ، ومنها متغير

* ملخص رسالة دكتوراه ، قسم علم النفس ، جامعة المنوفية ، عام ٢٠٠٩ .

** خبير ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

السعى إلى الاستثارة ، وهو يشير إلى تعبير شائع يطلق على ميل الأشخاص إلى السعى وراء أنواع مختلفة من التنبيه ، بدءاً من المنبهات البصرية واللمسية البسيطة وحتى النشوة المكتسبة ، و يتكون من ثلاثة أبعاد أساسية ، وهى : البحث عن المغامرة ، والبحث عن الخبرات الجديدة ، والحساسية للملل ومقاومة الكف .

وأشارت الدراسة إلى نوعين من أنماط السلوك المضاد للمجتمع فى المحتوى الإعلامى ، وهما :

١- المحتوى الإعلامى ومظاهر السلوك العدوانى المدرسى

أكدت الدراسة أن أسلوب العدوان يحظى بدرجة لا بأس بها لدى المتلقى بفعل تأثيرات الدعاية والصحافة والتليفزيون والإعلام الموجه نحو شعوب بعينها ، ومسألة إخضاعها للتجارب مسألة حتمية لابد منها؛ لذا علينا القول بوجود علاقة سبب ونتيجة بين الإعلام والعنف والجريمة . وفى أفضل الأحوال ، يمكن القول بأن توصيفات وسائل الإعلام لا تتسبب فى أن يصبح الجمهور عنيفاً ، لكنها قد تؤثر فى بعض مستخدمى وسائل الإعلام الذين يمتلكون نزعات لا اجتماعية ، وقد تنشر كثيراً من الشك والخوف بين الآخرين .

وأشارت الدراسة - كذلك - إلى أن العنف قد انتشر عبر أشكال مختلفة من الوسائط الإعلامية ، مثل الموسيقى وأشرطة الڤيديو ، وشبكة الإنترنت ، وألعاب الڤيديو ، وأن أكثر أشكال الاعتداء الجسدى تكون فى الإعلانات التليفزيونية الترويجية ، والإعلانات المطبوعة .

وقد تمت الإشارة إلى وجود الارتباط الإيجابى الدال بين كم الوقت المنقضى فى مشاهدة التليفزيون أثناء مرحلة المراهقة (مع احتمال وجود برامج عنيفة) وبين احتمالية وجود سلوك مضاد للمجتمع بشكل مستمر ، مثل : التهديد بالعدوان ، والشجار ، والقتال ، والسطو المسلح .

وما أشارت إليه نتائج العديد من الدراسات أن الأفراد الذين يمارسون الألعاب العنيفة من المحتمل أن يظهروا مستويات أعلى من العدوان ، كما يشار - كذلك - إلى أن الأطفال فى عمر سنة يلعبون الألعاب المصممة لسن أكبر من ١٨ سنة ، وكلما ازداد مستوى العنف فى الألعاب ، زاد من ناحية أخرى تقبل هؤلاء الأطفال لممارسة العنف الجسدى .

٢- المحتوى الإعلامى وتعاطى المواد النفسية

إذا كانت وسائل الإعلام - ومنها مشاهدة الفضائيات ، واستخدام شبكة الإنترنت ، واستخدام ألعاب الڤيديو جيم - لها ذلك التأثير القوى فى إمكانية زيادة العدوان والعنف لدى الفرد ، فإن لها تأثيرها المباشر والفعال - أيضا - فى موضوع تعاطى المواد النفسية ، حيث تعد مشكلة تعاطى المواد النفسية من الموضوعات التى يتسارع انتشارها بين البشر تارة بفعل مافيا المخدرات التى تتفرع داخل الدول ، بهدف الجلب والاتجار والترويج لما تدره هذه التجارة من مكاسب هائلة ، وتارة أخرى بسبب مجموعة العوامل النفسية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية شديدة التعقيد والتشابك ، التى تدفع ببعض الشباب إلى التعامل مع مثل هذه الضغوط إلى الانسحاب والهروب ، وتكون وسيلته لذلك تعاطى المواد النفسية ، ثم الاعتماد عليها فى نهاية المطاف .

ويعد الإعلام أحد العوامل المهمة التى تسهم فى تكوين ثقافة الأفراد عن المواد النفسية ، كما تبين أن هناك ارتباطاً بين التعرض المعرفى لثقافة المخدرات ، ومعتقدات الأفراد واتجاهاتهم نحوها .

وطرحت الدراسة تساؤلاً رئيساً حول العلاقة بين التعرض للمحتوى الإعلامى وأنماط السلوك المضاد للمجتمع ؛ سواء مظاهر السلوك العدوانى ، أو تعاطى المواد النفسية ، موضحة الدور الذى يمكن أن تلعبه وسائل الإعلام فى الانخراط فى تلك الأنماط . وإلى تأكيد الدور المهم الذى تلعبه وسائل الإعلام ومحتواها ، سواء من خلال التعرض لما يعرض فى التليفزيون ، والقنوات الفضائية المختلفة ، واستخدام شبكة الإنترنت ، واستخدام ألعاب الڤيديو جيم فى إتيان بعض الأفراد لبعض السلوكيات المضادة للمجتمع ، سواء مظاهر السلوك العدوانى ، أو تعاطى المواد النفسية .

ومن خلال تلك العلاقة التى تربط بين وسائل الإعلام وبعض أنماط السلوك المضاد للمجتمع ، لابد من البحث فى المتغيرات التى تقف خلف تلك العلاقة ، وتقوم بتفسيرها ، وتعتبر سمة السعى إلى الاستثارة من أكثر المتغيرات التى يمكن من خلالها تفسير تلك العلاقة ، وبيان حدود التأثير والتأثر بينها .

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الراهنة فى تناول السعى إلى الاستثارة كمتغير معدل للعلاقة بين التعرض للمحتوى الإعلامى وبعض أنماط السلوك المضاد للمجتمع (مظاهر السلوك العدوانى المدرسى ، وتعاطى المواد النفسية) ، مدفوعة فى ذلك بعدد من الاعتبارات النظرية والبحثية لإجراء هذه الدراسة ، تمثلت فى الآتى :

الأهمية النظرية

التأصيل النظرى لطبيعة العلاقة بين متغيرات السعى إلى الاستثارة بأبعاده المختلفة كمتغير معدل للعلاقة بين التعرض للمحتوى الإعلامى و تعاطى المواد النفسية ، والعدوان لدى عينتى تلاميذ المدارس الثانوية العامة والفنية .

تركز الدراسة الراهنة على تناول دور المتغيرات المعدلة فى التعامل مع العلاقات الشارطة والتفاعلية بين الفرد و السياق الاجتماعى فى حدود الدراسة الراهنة .

يحاول البحث بتناوله لمتغير المحتوى الإعلامى وأثره على المتغيرات النفسية تلبية حاجة المكتبة العربية النفسية فى مجال أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعى ، وهو فرع علم النفس الإعلامى .

الأهمية التطبيقية

من خلال ما تسفر عنه نتائج الدراسة الراهنة يمكن إعداد برامج وقائية إعلامية للحد من تعاطى المواد النفسية ، والعدوان داخل المدارس ، وأماكن التجمعات كالأندية ، ومراكز الشباب ، تأخذ فى اعتبارها دور المتغيرات النفسية .

تساؤلات الدراسة

تتحدد مشكلة الدراسة الحالية فى ضوء تساؤل رئيس ، وهو :

- ما طبيعة الدور الذى يلعبه متغير السعى إلى الاستثارة كمتغير معدل للعلاقة بين التعرض للمحتوى الإعلامى ، و تعاطى المواد النفسية لدى الذكور فى مرحلة التعليم الثانوى ؟

ويندرج تحت هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية تم عرضها بالتفصيل فى متن الرسالة .

معرفة مدى انتشار تعاطى المواد النفسية ، والعدوان بين تلاميذ المدارس الثانوية نتيجة التأثير السلبى لمحتوى الرسالة الإعلامية فى ضوء المتغيرات النفسية موضع الدراسة .

معرفة التأثير النوعى للوسائل الإعلامية المستجدة والمنتشرة بشكل كبير على تعاطى المواد النفسية (مثال لذلك : استخدام الإنترنت والفيديو چيم ، ومشاهدة الفضائيات) .

منهج الدراسة

تم استخدام المنهج الوصفى المقارن ، وتكونت عينة الدراسة من (٦٤٠ مفردة) من الذكور موزعين بين تلاميذ المدارس الثانوية العامة (ن = ٤١٠ مفردة ؛ بواقع ٢٠٠ مفردة للقسم العلمى للثانوية العامة ، و٢١٠ مفردة للقسم الأدبى للثانوية العامة) وتلاميذ الثانوية الفنية الصناعية (ن = ٢٣٠ مفردة) ، وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المقاييس النفسية ، وهى : مقياس السعى إلى الاستثارة ، ومقياس خصائص المحتوى الإعلامى ، ومقياس التعرض للمحتوى الإعلامى ، ومقياس مظاهر السلوك العدوانى (من إعداد الباحث) ، ومقياس مصادر المعلومات عن المواد النفسية (مقياس مختصر من استبيان البرنامج الدائم لبحوث تعاطى المخدرات بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية) ، وقد خضعت المقاييس السابقة للإجراءات السيكومترية (من عمليات للصدق ، والثبات)، والتى دلت على أنها مقاييس تتمتع بقدر معقول من الصدق والثبات ، يمكن من خلاله الاعتماد عليها فى إجراء الجزء الميدانى للدراسة ، وتم استخدام الأساليب الإحصائية الملائمة لجمع البيانات بما يجيب على أسئلة الدراسة ، ومنها : معاملات الارتباط ، واختبار "ت" لدلالة الفروق ، وتحليل التباين ، وتحليل الانحدار اللوجستى .

نتائج الدراسة

يمكن تلخيص النتائج الوصفية والاستدلالية التى خرجت بها الدراسة الراهنة فيما يلى :

الارتباط الإيجابى الدال إحصائياً لعينة تلاميذ المدارس الثانوية العامة بين كل من السعى إلى الاستثارة وخصائص المحتوى الإعلامى ، ومظاهر السلوك العدوانى بعضهم ببعض . أما عينة تلاميذ المدارس الثانوية الفنية ، فقد ارتبطت متغيرات الدراسة ببعضها البعض ، وكذلك على مستوى الأبعاد الفرعية لكل متغير عند مستوى معنوية ٠,٠٥، و٠,٠١ .

وجود فرق فى اتجاه عينة تلاميذ الثانوية الفنية فى كل من مظاهر السلوك العدوانى بأبعاده الفرعية ، ومتغير السعى إلى الاستثارة الكلى ، والبحث عن المغامرة والمخاطرة ، والحساسية للملل والبحث عن مواقف الإثارة . بينما كان الفرق فى اتجاه عينة تلاميذ الثانوية العامة – فقط – فى البحث عن الخبرات الجديدة . ولم تشر النتائج إلى أى فروق بين العينتين فى خصائص المحتوى الإعلامى .

تفوق ملحوظ لعينة تلاميذ المدارس الثانوية الفنية فى مشاهدة التليفزيون ومتابعة الفضائيات ، وذلك للقضاء على العزلة ، ومشاهدة برامج المصارعة وسباق السيارات والألعاب العنيفة ، ومباريات كرة القدم ، والأفلام الدرامية ، ومتابعة البرامج الإخبارية ، ولا يقومون بأية عادات سلوكية أثناء مشاهدة التليفزيون . ويقوم أولياء أمور التلاميذ بغلق التليفزيون كأحد الضوابط الاجتماعية ، بينما تفوقت عينة الثانوية العامة فى استخدام الإنترنت وبكثافة عالية لأكثر من خمس ساعات أسبوعياً فى المنزل ، وكانت ترتاد المواقع الإباحية "الجنسية" ولكنها توقفت ، وتدخل نسبة بسيطة يومياً لتلك المواقع ، مقارنة بعينة

الثانوية الفنية التى ترتاد تلك المواقع مرة شهرياً ، والأمر ينسحب - كذلك - بالنسبة لألعاب الڤيديو جيم ، فقد أشارت النتائج إلى تفوق ملحوظ لتلاميذ المدارس الثانوية العامة فى معدل الاستخدام اليومى فى ألعاب الذكاء الشخصى .

وبخصوص مصادر المعلومات عن المواد النفسية ، فكان الزملاء مصدر السماع عن الأدوية النفسية لتلاميذ الثانوى العام ، بينما كانت وسائل الإعلام مصدر السماع لتلاميذ الثانوى الفنى . أما الرؤية المباشرة ، فكانت للأصدقاء فى العينتين ، أما الكحوليات ، فكان مصدر السماع هو الأقارب والزملاء لدى الثانوى العام ، ولم تشر النتائج إلى اختلاف بين العينتين فى مصدر الرؤية ولا التعاطى، وكان مصدر الرؤية المباشرة للمخدرات الطبيعية من الأقارب لدى عينة الثانوى الفنى ، بينما كان الزملاء مصدرها فى عينة الثانوى العام ، وكذلك نسبة من المتعاطين فى عينة الثانوى الفنى . مع التسليم بوجود نسبة من المتعاطين فى العينتين ، ولكن لم يكن هناك فرق دال بينهما .

وكشف المرتفعون فى السعى إلى الاستثارة لعينة التعليم الثانوى الفنى عن تفوق ملحوظ فى مظاهر السلوك العدوانى مقارنة بعينة التعليم الثانوى العام ، كذلك المرتفعون فى السعى إلى الاستثارة لعينة التعليم الثانوى الأدبى مقارنة بالتعليم الثانوى العلمى ، فى حين كشف المرتفعون فى السعى إلى الاستثارة لعينة الثانوية العلمى عن تفوق على خصائص المحتوى الإعلامى الكلى مقارنة بالثانوى الفنى ، والثانوية العامة الأدبى .

وأشارت النتائج إلى تفوق عينة متعاطى المواد النفسية الثانوية الفنية فى مشاهدة التليفزيون لأنه يعرض أشياء يحبونها ، ومتابعة مباريات كرة القدم ومشاهدة برامج المصارعة الحرة وسباق السيارات ، والأفلام الروائية ، ويتناولون

الأطعمة أثناء المشاهدة . وترى العينة أن التواصل والمعرفة المتبادلة من أهم التأثيرات الإيجابية لمتابعة الفضائيات ، ولا توجد تأثيرات سلبية لها من وجهة نظرهم ، فى حين تفوقت عينة المتعاطين فى الثانوى العام فى مشاهدة التليفزيون للتسلية ، والقضاء على العزلة ، والمتابعة المتقطعة للفضائيات ، وأهمية محاكاة السلوكيات الإيجابية فيما يعرض فى الفضائيات ، وتدخل تلك العينة إلى الإنترنت من المنزل ، وذلك للمواقع الإباحية لطلب مواد منها ، ولكنها توقفت عن طلبها، وتمتلك العينة جهاز الفيديو جيم .

وأظهرت النتائج أن عينة مرتفعى مظاهر السلوك العدوانى فى عينة الثانوية الفنية كانت تشاهد التليفزيون للقضاء على العزلة ، ويشاهدون الأفلام ذات الطابع العنيف والأكشن ، ويقومون بمراجعة دروس المدرسة أثناء المشاهدة ، وكانت متابعتهم الكثيفة (ساعتان فأكثر) ، وكان استخدامهم للإنترنت ولكن بنسبة بسيطة ، وكانوا يرتادون يومياً المواقع الجنسية ، بل وكانوا يطلبونها ولكنهم توقفوا، ويستخدمون ألعاب الحرب والقتال فى الفيديو جيم بشكل يومى ، بينما بينت النتائج أن عينة مرتفعى السلوك العدوانى من تلاميذ الثانوية العامة كانت تشاهد برامج المصارعة الحرة وسباق السيارات ، ومتابعة مباريات كرة القدم ، ومشاهدة الأفلام الدرامية وسماع الموسيقى والغناء ، والبرامج الحوارية ، ولا يفعلون أى عادة سلوكية أثناء المشاهدة ، وكان الآباء يغلقون جهاز التليفزيون كأحد القيود الممارسة أثناء المشاهدة ، وكانت متابعتهم للفضائيات بشكل بسيط، وكانت متابعة مباريات كرة القدم ، والبرامج الحوارية ، وبرامج الموسيقى والغناء من أكثر المواد فى الفضائيات . وقد أشارت العينة إلى أن التواصل والمعرفة المتبادلة أحد التأثيرات الإيجابية لمتابعة الفضائيات ، وكذلك فإن التأثير السلبى لها يتبلور فى تزايد العنف داخل الأسرة ، ولم يكن هناك أى

قيود تمارس أثناء متابعة الفضائيات ، وأن استخدام الإنترنت من خلال مقاهى الإنترنت ؛ لأن هناك قيوداً تمارس من الوالدين للاستخدام الإنترنت فى المنزل .

كشفت النتائج عن وجود عدد من المتغيرات ذات القدرة التنبؤية بمظاهر السلوك العدوانى ، وتعاطى المواد النفسية ، وهى كما يلى :

بالنسبة لعينة الثانوية العامة

يمكن التنبؤ بتعاطى المواد النفسية من خلال المتغيرات التالية : مشاهدة التليفزيون للتسلية والترفيه ، و مشاهدة التليفزيون للقضاء على العزلة، ومشاهدة الأفلام العنيفة والأكشن ، ومشاهدة برامج المصارعة ، وسباق السيارات ، والألعاب العنيفة ، ومشاهدة البرامج الإخبارية التى تعرض فى التليفزيون ، وكذلك متابعة البرامج الحوارية التى تعرض فى الفضائيات ، واستخدام الإنترنت ، ودخول الإنترنت من المنزل ، وامتلاك جهاز ڤيديو جيم أو بلاى سيتيشن ، وخصائص مضمون المحتوى الإعلامى ، والسماع عن الكحوليات من مصادر إعلامية مختلفة ، ورؤية المخدرات الطبيعية من الأصدقاء ، وأخيراً رؤية المخدرات الطبيعية من الأقارب والجيران .

وكذلك التنبؤ بمظاهر السلوك العدوانى من خلال توافر المتغيرات التالية : البحث عن الخبرات الجديدة ، والحساسية للملل والبحث عن مواقف الإثارة، ومتابعة البرامج الحوارية فى التليفزيون ، ومشاهدة أفلام العنف والأكشن المعروضة فى التليفزيون ، ومتابعة الفضائيات بانتظام ، وامتلاك وصلة إنترنت مفتوح ، ودخول الإنترنت من المنزل ، وخصائص مضمون المحتوى الإعلامى .

أما فى عينة الثانوية الفنية

يمكن التنبؤ بتعاطى المواد النفسية من خلال المتغيرات التالية : مستوى تعليم الأب (أقل من المتوسط) ، ومتابعة البرامج الإخبارية فى التليفزيون ، وعدد ساعات مشاهدة الفضائيات (ساعتان فأكثر) ، ودخول الإنترنت ، وخصائص مضمون المحتوى الإعلامى ، وخصائص القائم بالاتصال ، ورؤية الأدوية النفسية من الأقارب والجيران ، والسماع عن الكحوليات .

وكذلك التنبؤ بمظاهر السلوك العدوانى من خلال توافر المتغيرات التالية : الحساسية للملل والبحث عن مواقف الإثارة ، والسعى على الاستثارة الكلى، وامتلاك طبق هوائى ، ومتابعة برامج الحوار التى تعرض فى الفضائيات ، ومتابعة برامج الموسيقى والغناء التى تعرض فى الفضائيات ، واستخدام الإنترنت ، وارتياد المواقع الإباحية ، وطلب مواد إباحية ، وخصائص الشكل للمحتوى الإعلامى ، ورؤية الأقارب والجيران يتعاطون الكحوليات ، والسماع عن المخدرات الطبيعية ، وأخيراً رؤية الأقارب والجيران يتعاطون المخدرات الطبيعية .

وقد اتضح أن متغير السعى إلى الاستثارة يلعب دوراً مهماً كمتغير معدل للعلاقة بين التعرض للمحتوى الإعلامى وإتيان مظاهر السلوك العدوانى لدى عينة تلاميذ التعليم الثانوى العام من خلال بُعدى البحث عن الخبرات الجديدة ، والحساسية للملل والبحث عن مواقف الإثارة ، وكذلك لدى عينة تلاميذ التعليم الثانوى الفنى من خلال متغير السعى إلى الاستثارة العام ، وبُعد الحساسية للملل والبحث عن مواقف الإثارة ، بينما لم تشر النتائج إلى أى دور لمتغير السعى إلى الاستثارة كمتغير معدل للعلاقة بين التعرض للمحتوى الإعلامى وتعاطى المواد النفسية لدى عينتى الدراسة .

وتمت مناقشة نتائج الدراسة فى ضوء الفروض التى تبنتها الدراسة .